

أدوات الخط والكتابة من خلال كتاب صبح الأعشى للقلقشندي Calligraphy and Writing Tools Through Al-Qalqashandi's Book Subh al-A'sha

أ. د. / بدر الدين شعباني

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

البريد الإلكتروني: badreddine.chaabani@uni-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2019/12/26 م. تاريخ القبول: 2025/01/16 م. تاريخ النشر: 2025/12/31 م.

الملخص:

قال إبراهيم بن محمد الشيباني: "الخط لسان اليد وبهجة الضمير، وسفير العقول ووصي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفرقة، ومحادثهم على بعد المسافة، ومستودع السر وديوان الأمور". ولما كان الخط هندسة روحانية بآلة جسمانية فقد سعى محسنو الخط بكل الوسائل المتاحة لغرض تجويده، وإخراجه بالصورة اللائقة على أكمل وجه. لذا فقد تعددت الوسائل المساعدة في عمليات الكتابة، وتخريج المخطوطات بصورة خاصة، وقد ذكر القلقشندي معظم هذه الآلات في كتابه صبح الأعشى، وذكر صفاتها، ومحاسنها، ومساوئها التي يمكن أن تؤثر على المظهر الفني والجمالي للخطوط المنفذة على المنتجات التاريخية والحضارية.

الكلمات المفتاحية: الآلة؛ الأداة؛ الكاغد؛ الدواة؛ قلم القصب.

Abstract:

Ibrahim ben Mohammed El-Chaibani has said: "Calligraphy is the hand tongue and the jubilation of conscience, and the spirit ambassador and the thought trustee, and weapon of Knowledge, the brothers' sociability when they separate, and their long-distance conversations, and the secret warehouse, and the Event Office". Seeing that the Calligraphy is a spiritual engineering with a bodily instrument, the Calligraphers sought with all available means to improve it, and to realize it properly fully. So, there were many means assistance in writing operations, and the realization of the manuscripts in particular, Al-Qalqashandi has been mentioned most of these instruments on his book subh al-A'sha, he mentioned their characteristics, advantages, and disadvantages that could affect the artistic and aesthetic appearance of writings executed on historical and cultural products.

Keywords: instrument; tool; paper; inkstand; Calamus.

أولاً- مقدمة:

أدت الدراسة المعمقة لصناعة المخطوط إلى إنشاء فرع جديد في هذا الفن يعرف بعلم آثار الكتاب المخطوط أو الكوديكولوجيا (Codicology)، وهو علم يدرس الكتاب المخطوط بوصفه موضوعاً مادياً، وبعبارة أفضل بوصفه وعاءاً للنصوص، إضافة إلى الخط كانت صناعة الورق وطي الصفائف، وتشكيل الملازم، وتركيب الصفحات، والثقب، والزخرفة والنمنمة، والتذهيب والتفسير والنسخة بمفهومها الواسع أفعال صناعية مرتبطة بالمخطوط، ومشكلة في مجملها صناعة هذا الأخير وما اصطلح عليه بالوراقة، وقد سخرت لأجل تحقيق ذلك آلات مختلفة، وعلى رأسها آلات الخط والكتابة.

وقد عني بدراسة الخط العربي وآثاره المؤرخ والأثري والمزوق، وألفت في ذلك المؤلفات بصورة ملفتة للنظر، وأخرج الخطاطون وأصحاب الفنون التشكيلية لوحات فنية في الخط غاية في الجمال، حتى رسخ هذا الفن في أذهان العام والخاص، وانسلخ عنه فن الكتابة والإنشاء بمفهومه الواسع الذي كان يشمل الكاتب والناسخ والخطاط مقروناً بأدوات الكتابة في مؤلفات الكتاب المسلمين المهتمين بهذا النوع من الفن.

ومن أولى الكتابات في هذا المجال الرسالة العذراء لإبراهيم بن محمد الشيباني القيرواني والمنسوبة خطأ لابن المدبر البغدادي¹. وقد تطرق مضمون هذه الرسالة إلى صنعة الكتابة، وصفات الكاتب، وبدائع الصدور في الرسائل، وما يمدح به الملوك، وخواتيم الرسائل، وحسن الخط، وغيرها من المواضيع، ومن كتاب هذا الفن المغاربة في القرن 11هـ بكر بن إبراهيم الإشبيلي، وكتابه: "التيسير في صناعة التفسير"، والكتاب مرتب ترتيباً جيداً في وصفه ومادته، فهو يبتدئ بمقدمة تتضمن بيان الباعث على تأليفه، وأفضلية هذه الصناعة، وتسميته، وتقسيمه إلى أبواب، وفصول بحسب الأغراض والمعاني التي تناولها حيث جاء في متن رسالته: "واعلم أنّ أول ما ينبغي لك أن تصلحه آلتك التي لا بد منها، وأدواتك التي لا تتم صناعتك إلا بها"². ويبدأ بإصلاح الدواة ثم الأقلام والقراطيس، والسكين وما إلى ذلك من أدوات الكتابة.

1- إبراهيم المدبر، 1931؛ ظهرت الرسالة أول ما ظهرت عام 1327م بمجلة القبس على يد الأستاذ كرد علي، وقد نسبها خطأً إلي إبراهيم بن محمد بن عبد الله المدبر الضبي وكنيته أبو إسحاق توفي ببغداد سنة 279 هـ، وأعاد نشرها في كتابه "رسائل البلغاء" منسوبة إلى ابن المدبر - أيضاً، وعمل مثله د/ زكي مبارك 1931م. والحقبة أن الرسالة لأبي اليسر يزيد بن إبراهيم بن محمد الشيباني القيرواني، نشأ بالقيروان وخدم المعز لدين الله الفاطمي، وتوفي بالقيروان (223-298هـ/838 - 911م)، وقد كتب رسالته هذه وأرسلها إلى إبراهيم بن محمد بن المدبر، وذكر القلقشندي جزءاً من الرسالة منسوباً إلى صاحبه الأصلي في مصنفه "صبح الأعشى"، وأعاد تحقيقها د/ محمد المختار العبيدي، وراجعها وقدم لها قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث سنة 2009م.

2- إبراهيم المدبر، 1931م، ص ص. 22-23.

ومن الكتب التي خاضت في هذا المجال كذلك كتاب: "منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة" لصاحبه محمد بن أحمد الزفتاوي (751هـ-806هـ) شيخ الفلقشندي صاحب كتاب: "صبح الأعشى". حيث ذكر المصنف في مقدمة كتابه: "وبوبته أبوابا، بدأت فيها بذكر من وضع الخط وأصله، ومن فصله ووصله، وذكر من وضع الخط العربي وأقامه، وصنع حروفه وأقسامه، وفضل الخط والقلم، وما لهم في ذلك من الحكم، ثم نذكر الدواة وصفاتها وآلاتها، والسكين وحالاتها، والمداد وأصنافه، والحبر وأوصافه، والبري وأحكامه، والقطّ وأقسامه، والتسوية والمط، والشكل والنقط. وذكرت حروف المعجم المفردة وأشكالها وهيئاتها وصفاتها، وأتبع ذلك ببقية ما يحتاج إليه من التاريخ، والتراب، والسحاة، والعنوان، والطين، والختم، جمعت ذلك من كلام العلماء باللغة والكتابة، المشهورين بالحدق والإصابة³.

هذا وقد وظف الفلقشندي جزءا لا بأس به من رسالة أستاذه هذه في موضوعه آلات الكتابة، والذي قسمه إلى ثلاثة أطراف أساسية وعملية، وسنرتب المقال بحسب هذه الأطراف مع التصرف في المضمون بما ينفع الموضوع.

ثانياً- أطراف الكتابة:

1. الطرف الأول: في الدواة وآلاتها

الحقيقة أن الدواة غير المحبرة ذلك أن المحبرة جزء من الدواة، وقد اختلف الناس في اتخاذ المحبرة المفردة عن الدواة فمنهم من رجحها ومال إلى اتخاذها لخفة حملها، وقالوا بها يكتب القرآن والحديث والعلم، وكرهها بعضهم واستقبحها من حيث إنها آلة النسخ الذي هو من أشد الحرف وأتعبها وأقلها مكسبا، ويروى أن شعبة رأى في يد رجل محبرة فقال: إرم بها فإنها مشؤومة لا يبقى معها أهل ولا ولد ولا أم ولا أب⁴.

وبالجملة فإن الدواة هي أم آلات الكتابة وسمطها الجامع لها، ولا يخفى ما يجب من الاهتمام بأمرها والاحتفاء بشأنها فقد قال عبد الله بن المبارك: من خرج من بيته بغير محبرة وأداة فقد عزم على الصدقة قال المدائني يعني بالأداة مثل السكين والمقلمة وأشباههما. قال محمد بن شعيب ابن سabor: مثل الكاتب بغير دواة كمثل من يسير إلى الهيجاء بغير سلاح⁵.

3- محمد بن أحمد الزفتاوي، 1986م، ص. 193.

4- أحمد بن علي الفلقشندي، 1987م، ص ص. 472-473.

5- نفسه، ص ص. 469-470.



أما المواد التي تتخذ منها فينبغي أن تكون من أجود العيدان وأرفعها ثمنًا كالآبنوس، والساسم، والصندل، وهذا اعتماد منه على ما كان يعتاده أهل زمانه ويتعانه أهل عصره. قُلْتُ وقد غلب على الكتاب في زماننا من أهل الإنشاء وكتاب الأموال اتخاذ الدوي من النحاس الأصفر، والفولاذ وتغالوا في أثمانها وبالغوا في تحسينها.

69

وأما التحلية فقال الحسن بن وهب سبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون ويمكن أن تحلى به الدوي، وفي وثاقة ولطف ليأمن من أن تتكسر أو تنقصهم في مجلسه. قال وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا تنيات فيها ليأمن من مسارعة القذى والدنس إليها، ولا يكون عليها نقش ولا صورة لأن ذلك عيب عندهم⁶.

أما صفتها فقد قال الحسن بن وهب: سبيل الدواة أن تكون متوسطة في قدرها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها وتقنح، ولا بالكثيفة فيثقل حملها وتعجب، فلا بد لصاحبها أن يحملها، ويضعها بين يدي ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره، قال الفضل: ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلا لتكون مناسبة لمقدار القلم. قلت وقد اختلفت مقاصد أهل الزمان في هيئة الدواة من التدوير والتربيع، واعلم أنه ينبغي للكاتب أن يجتهد في تحسين الدواة وتجويدها وصونها. والله المدائني حيث يقول:

جود دواتك واجتهد في صونها ... إن الدوي خزائن الآداب⁷.

2. الطرف الثاني: ويحوي سبع عشرة آلة كل آلة تبدأ بحرف الميم

2. 1. مزبر (القلم): الآلة الأولى: المزبر بكسر الميم، وهو القلم أخذًا له من قولهم زبرت الكتاب إذا

أتقنت كتابته، ومنه سميت الكتب زبرا كما جاء في القرآن الكريم⁸، وفي حديث أبي بكر أنه دعا في مرضه بدواة ومزبر أي قلم⁹.

واعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة، وأعلىها رتبة إذ هو المباشر للكتابة دون غيره، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان، وقد قال الله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ فأقسم به وذلك في غاية الشرف، وروى محمد بن عمر المدائني بسنده إلى مجاهد إن أول ما خلق الله اليراع¹⁰، ثم خلق من اليراع القلم فقال له أكتب. قال: ما أكتب قال: ما هو كائن قال: فزبر القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ويستخلص من ذلك أن القلم لا يُسمَّى قلماً إلا بعد أن يقلم وإلا فهو قصبه ويراع.

6- منهاج الإصابة، ص. 201؛ ويراجع: أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص ص. 470-471.

7- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص ص. 471-472.

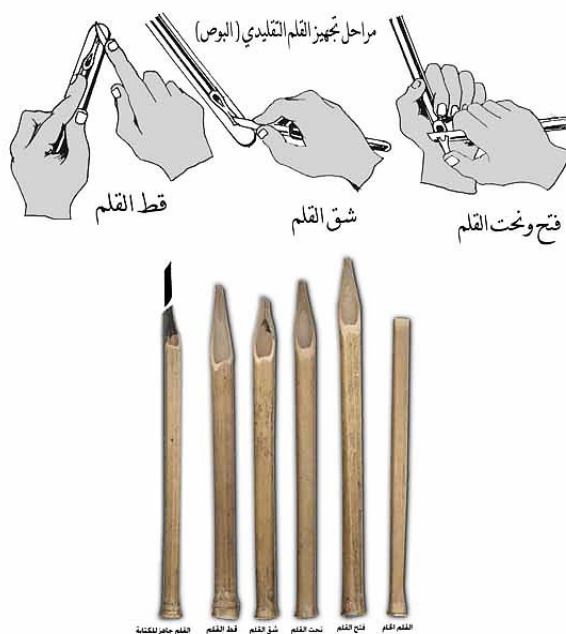
8- الشعراء: الآية 196.

9- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 473.

10- اليراع: وهو القصب المتعب.



الصورة 02: أنواع أقلام البوص الطبيعية وما يقابلها من الأقلام ذات الرؤوس المعدنية.



الصورة 03: مراحل تجهيز أقلام البوص أو القصب من البراع إلى القلم.

وقد استخدم القلم المدبب منذ الألف الثالث ق.م، وكان يسمى كلاموس (Calamus)، من مميزاته أنه يسمح بالحصول على كتابة أكثر دقة¹¹، وكان القلم الأكثر استعمالاً في الخط المغربي. وعن صفة بري الأقلام حدثنا أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال: من كلام مسلم بن الوليد الأنصاري، في صفة بري القلم قوله: "حرف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه شقاً غير عاد ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبتيه ليجمعا حواشي تصويره. فإذا فعلت ذلك استمد القلم برشفه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ما سده العقل، وألحمه اللسان، وبلته اللهوات، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماح، وقيلته القلوب"¹². والله ذر أبي الفتح البستي حيث يقول:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقد وصف الله تعالى نفسه بالكرم في سورة العلق، ثم أضاف التعليم بالقلم إلى نفسه¹³.

أما في صفة القلم فيقول إبراهيم بن محمد الشيباني: ينبغي للكاتب أن يتخير من أنابيب القصب أقله عقداً وأكثره لحماً وأصلبه قشراً وأعدله استواءً. وأهدى ابن الحرون إلى رجل من إخوانه الكتاب أقلاماً وكتب إليه: "إنه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الأمور، وقوام الخلافة، وعمود المملكة أتحتك من آلتها بما يخف محمله، وتثقل قيمته، ويعظم نفعه، ويجل خطره، وهي أقلام من القصب النابت في الصخر الذي نشف بحر الهجير في قشره مأوه، وستره من تلويحه غشاؤه، وهي كاللآلئ المكنونة في الصدف، والأنوار المحجوبة في السدف تبرية القشور، درية الظهور فضية الكسور قد كستها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر، ورونقاً كالديباج المنير"¹⁴.

2.2. مقلمة: تعد المقلمة الآلة الثانية في أدوات الكتابة، وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام سواء كان بالدواة نفسها أو أجنبياً عنها، والبعض لا يعدها من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالباً. وكانت تعرف بالمغرب الإسلامي تحت اسم الجوامع، وكان يتم إعدادها من الجلد، ومن الناس من يعملها بقلمين ومنهم من يعملها بأربعة أقلام، ولكن أكثر ما جري عليه الناس عملها بثلاثة أقلام¹⁵.

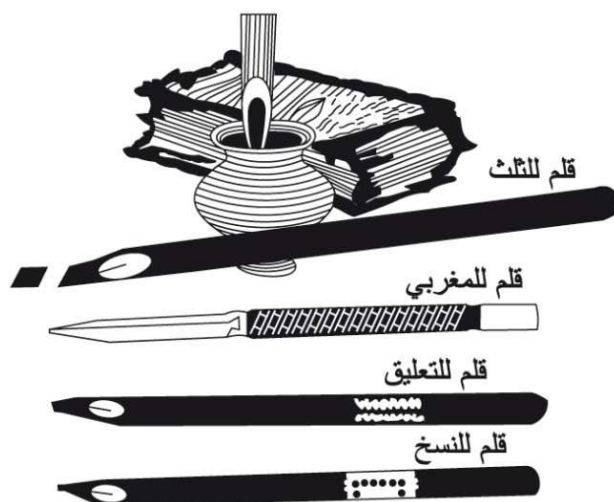
11- نضال عبد العالي أمين، 1986م، ص. 133.

12- الصولي، 1341هـ، ج. 1، ص. 20.

13- سورة العلق: الآية 3 و4، ويراجع: محمد بن أحمد الزفتاوي، 1986م، ص. 195. وكذلك: أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص ص. 474-475.

14- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 481.

15- بكر بن إبراهيم الأشيلي، 1959م-1960م، ص. 37. وكذلك: أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 495.



A row of ten wooden sticks, some plain and some decorated with black and red markings, laid out horizontally. The sticks vary in length and thickness, with some showing signs of wear and discoloration. The decorations include black lines, dots, and red markings, possibly representing different symbols or languages.



2. 3. مدينة (السكين): قال بعض الكتاب: هي مسن الأقلام تستد بها إذا كتبت، وتطلق بها إذا وقعت، وتلمها إذا تشعثت فتجب المبالغة في سقيها، وإحداها ليتمكن من البري فيصفو جوهر القلم ولا تتشظى قطته، وينبغي ألا يستعملها في غير البراية لئلا تكل وتفسد، وأحسنها ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضه نصابه. والسكين تذكر وربما تؤنث¹⁶.

73

وذكر الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله قائلا: واستحد السكين حدا، ولتكن ماضية جدا فإنها إذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا¹⁷.

2. 4. **مقط:** قال الصولي: هو المقط بكسر الميم فأما المقط فالموضع الذي يقط من رأس القلم. وأحسن المقاط، وأمكنها المربع كهيئة فص النرد زائداً عليه في الطول والعرض ساذج الطرفين، فإذا كان على هذا الشكل رحب مطاه، ووطء قراه، وكان أملاً لليد، وأمكن للقط¹⁸. وقال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: "إذا قطعت فلا تقط إلا على مقط أملس صلب غير مثلم، ولا خشن لئلا يتشظى القلم"، وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف: "ويتعين أن يكون من عود صلب كالآبنوس والعاج ويكون مسطح الوجه الذي يقط عليه ولا يكون مستديراً لأنه إذا كان مستديراً تشظى القلم وربما تهلت القطعة فتأتي الإدارات والتشعيرات غير جيدة". قلت وينبغي ألا يكون مع ذلك مانعا كالحديد، والنحاس، ونحوه فإن ذلك يفسد السكين، ولا تجيء القطعة صالحة. هذا والقط أنواع: محرف؛ ومستو، وقائم، ومصوب، وأجودها: المحرف المعتدل¹⁹.

2. 5. **محبرة (الدواة):** المحبرة وهي المقصودة من الدواة في هذا الموضع، فقد أطلق الجزء على الكل، وتشتمل على ثلاثة أصناف:

أ. **الصنف الأول:** الجونة، وهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر، وقد أخرج ابن أبي حاتم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله النون وهي الدواة"، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما خلق الله النون وهي الدواة، وخلق القلم فقال أكتب فقال: وما أكتب. قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة"، وهذا الخبر والأثر دالان على أن المراد بالنون في الآية هو الدواة، وإن فسر بعضهم بغير ذلك إذ الدواة هي المناسبة في الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة في سورة القلم²⁰.

قال بعض فضلاء الكتّاب، وينبغي أن تكون - أي المحبرة - شكلا مدور الرأس يجتمع على زاويتين قائمتين يوقداهما خط، ولا يكون مربعا على أي حال من الأحوال لأنه إذا كان مربعا تكاثف المداد في زواياه فيفسد ويصير له ريح منتنة، ويتغير لونه فيتغير بذلك ما قر منه، وما يليه من المداد المستمد في لونه ورائحته²¹. فإذا كان مستديرا كان أبقي للمداد، وأسعد في الاستمداد.

17- أحمد بن علي الفلقشندي، 1987م، ص. 497؛ كالة وكليلة بمعنى غير حادة، يقال سيف كليل أي غير حاد، وكل السيف هو ظهر نصله غير الحاد.

18- الصولي، 1341هـ، ص. 26.

19- أبي حيان التوحيدي، 1951م، ص. 31.

20- سورة القلم: الآية 1.

21- المعز بن باديس بن المنصور التميمي الصنهاجي، د.ت، ص ص. 31-32.

ب. الصنف الثاني: الليقة وتسميها العرب الكرسف تسمية لها باسم القطن الذي تتخذ منه بعض الأحوال كما سيأتي والنظر فيها من وجهين، قال الجاحظ ولا تستحق اسم الليقة حتى تلاق في الدواة بالنقس وهو المداد، وتتخذ من الحرير، والصوف، والقطن، ويقال فيه الكرسف²²، والبرس، والطوط، والعطب، والأولى أن تكون من الحرير الخشن لأن انتفاشها في المحبرة، وعدم تلبدتها أعون على الكتابة. قال بن البصيص: ينبغي أن تكون الليقة من حرير مغسولة بالصابون منشفة تنشيفا جيدا، ثم تأخذ الحبر العال المطوس وتلقيه على الليقة وتحركها²³.

قال بعض الكتاب ويتعين على الكاتب أن يتفقد الليقة، ويتعددها بالصيانة، ويطيبيها بأجود ما يكون فإنها تروح على طول الزمن، قال الشيخ علاء الدين السرمري: ويتعين على الكاتب تجديد الليقة في كل شهر وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة لأجل ما يقع فيها من التراب، ونحوه فيفسد الخط، ونظم ذلك في أرجوزته فقال:

وجدد الليقة كل شهر ... فشيخنا كان بهذا يغري

لأجل ما يقع فيها من قذى ... فينتشي من ذاك في الخط أذى

ت. الصنف الثالث: المداد والحبر وما ضاهاهما، أما المداد فسمي بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه، وكل شيء مددت به شيئا فهو مداد، وأما الحبر فأصله اللون يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شيء²⁴، وإعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة وعليه مدار الربع منها وأنشدوا في ذلك:

ربع الكتابة في سواد مدادها ... والربع حسن صناعة الكتاب

والربع من قلم تسوي بريه ... وعلى الكواغد رابع الأسباب

قال بعض العلماء رحمهم الله وإنما اختير فيه السواد دون غيره لمضادته لون الصحيفة، وقد ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك إلى الكافور لتطيب رائحته، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه، والعسل ليحفظ على طول الزمن، وقيل إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب²⁵.

22- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 498. قال أبو بكر: الكرسف القطن خاصة دون غيره، ثم صاروا يسمون

كل شيء وقع موقعه في الدواة من صوف وخرقة كرسفاً. أنظر: الصولي، 1341هـ، ص. 23.

23- هلال ناجي، 1986م، ص. 266.

24- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص ص. 501-500.

25- نفسه، ص ص. 505-502.



الصورة 07: دواة من النحاس.



الصورة 06: دواة من فضة للسلطان عبد الحميد الثاني.



الصورة 08: محبرتان وحافظتا أقلام نفذتا من النحاس.



الصورة 09: نموذجين للدواة الفخارية المغاربية أعدت للأحبار والأصباغ المختلفة.

2. 6. ملواق: يقال أُلْقَتْ الدواة أليقها إلاقه، إذا أدريت كرسفها حتى تسود²⁶، والملواق بكسر الميم أداة كمرود المكحلة، وهو ما تلاق به الدواة أي تحرك به الليقة، ويكون مستديرا مخروطا عريض الرأس ثخينه، وأحسن ما يتخذ منه الأبنوس لئلا يغيره لون المداد.

2. 7. مرملة (المتربة): تعد المرملة الآلة السابعة، واسمها القديم المتربة جعلها لها آلة للتراب إذ كان هو الذي يترب به الكتب أي تنشف به الكتابة، وتشتمل على شيئين:

أ. الأول: وعاء الرمل أو الظرف يوضع فيه الرمل وسمي بذلك، وينفذ من جنس الدواة إن كانت الدواة نحاسا أو من النحاس ونحوه إن كانت خشبا على حسب ما يختاره رب الدواة. ومحلها من الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة مقابلا للمنشاة الآتي ذكرها، ويجهز فمها بشباك لمنع من وصول الرمل الخشن إلى باطنها. وأرباب الرياسة من الوزراء والأمراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب حبة النارج، مجهزة بعنق في أعلاها، غالبا ما تنفذ من جنس الدواة بخاصة مادة النحاس ونحوه، وربما اتخذت من الخشب لقضاء الحكم ونحوهم²⁷.

ب. الثاني: الرمل وخيره ما كان دقيقا، واختار الكتاب الرمل الأحمر دون غيره، كونه يكسو الخط الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل²⁸.

2. 8. منشاة: الآلة الثامنة المنشاة وتشتمل على شيئين أيضا:

أ. الأول: الظرف وحاله كحال المرملة في الهيئة والمحل من الدواة من جهة الغطاء إلا أنه لا شبك في فمه ليتوصل إلى اللصاق، وربما اتخذ بعض ظرفاء الكتاب منشاة أخرى غير التي في صدر الدواة من رصاص على هيئة حق لطيف ويجعلها في باطن الدواة كالمرملة المتوسطة فإن اللصاق قد يتغير بمكنه في النحاس بخلاف الرصاص.

ب. الثاني: اللصاق وهو على نوعين أحدهما النشا المتخذ من البُر، وطريقة عمله بأن يطبخ على النار كما يطبخ للقماش إلا أنه يكون أشد منه ثم يجعل في المنشاة، وهو الذي يستعمله كتاب الإنشاء ولا يعولون على غيره لسرعة اللصاق به، وموافقة لونه للورق في نضاعة البياض. والثاني: المتخذ من الكثيرة، حيث يتم تبليل الكثيرة بالماء حتى تصير في قوام اللصاق ثم تجعل في المنشاة وكثيرا ما يستعمله كتاب الديونة، وهو سريع التغير إلى الخضرة ولا يسرع اللصاق به؛ كما ينبغي أن يستعمل في اللصاق في الجملة الماورد والكافور لتطيب رائحته²⁹.

26- الصولي، 1341هـ، ص. 23.

27- محمد المنوني، 1999م، ص. 658؛ ويراجع: أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 508.

28- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 509.

29- نفسه، ص ص. 509-510.

2. 9. **منفذ:** وتوسع الآلات المنفذ أو الإشفي كما يعرف بالمغرب الإسلامي³⁰، وهو آلة تشبه المخرز تتخذ لخرم الورق، وينبغي أن يكون محل الحاجة منها متساويا في الدقة والغلط أعلاه وأسفله سواء لثلا تختلف ثقب الورق في الضيق والسعة، خلا أن يكون ذبابة دقيقا ليكون أسرع وأبلغ في المقصود، وحكمه في نصاب الطول والغلط حكم المدية، وأكثر من يحتاج إلى هذه الآلة من الكتاب كتاب الدواوين وربما احتاج إليها كاتب الإنشاء في بعض أحواله.

2. 10. **ملزمة:** تدعى الآلة العاشرة بالملزمة؛ قال الجوهرى الملزم بالكسر خشبتان تشد أوساطهما بجديدة تكون مع الصياقلة والأبارين، ولم يزد على ذلك. وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه مجهزة بدفتين تلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة ليمنعها الدرج من الرجوع على الكاتب، ويحبس بمحبس على الدفتين، وكانت تسمى بالمغرب محمل الكتب، وكرسي القراءة وعود النساخة وحمائر الكتب³¹.

2. 11. **مفرشة:** يطلق على الآلة الحادية عشرة المفرشة، وهي آلة تتخذ من خرق كتان بطانة وظهارة أو من صوف ونحوه تفرش تحت الأقلام، وما في معناها مما يكون في بطن الدواة.

2. 12. **ممسحة:** الآلة الثانية عشرة: الممسحة وتسمى الدفتر أيضا، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لثلا يجف عليه الحبر فيفسد، والغالب في هذه الآلة أن تكون مدورة مخرومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة³².

2. 13. **مسقا:** الآلة الثالثة عشرة: المسقا وهي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة وتسمى الماوردية أيضا لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ماورد (كذا) لتطيب رائحتها وأيضاً فإن المياه المستخرجة كماء الورد، والخلاف، والريحان، ونحو ذلك لا تحل الحبر ولا تقسده بخلاف الماء، وتتخذ هذه الآلة في الغالب من الحلزون الذي يخرج من البحر المالح، وربما كانت من نحاس ونحوه، والمعنى فيها ألا تخرج المحبرة من مكانها، ولا يصب من إناء واسع الفم كالكور ونحوه، فربما زاد الصب على قدر الحاجة³³.

2. 14. **مسطرة:** الآلة الرابعة عشرة: المَسطرة أو قبطالا عند أهل المغرب³⁴، وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها، وأكثر من يحتاج إليها

30- بكر بن إبراهيم الإشبيلي، 1959م-1960م، ص. 11.

31- محمد المنوني، 1999م، ص. 672. **الملزمة:** محمل الكتب، وكرسي القراءة وعود النساخة وحمائر الكتب، وهو محمل من لوحين تسد أوساطهما فيفتح ويطوى، ثم يوضع عليه الكتاب للانتساخ أو القراءة، ويسند جانبا إلى لوحى الملزم.

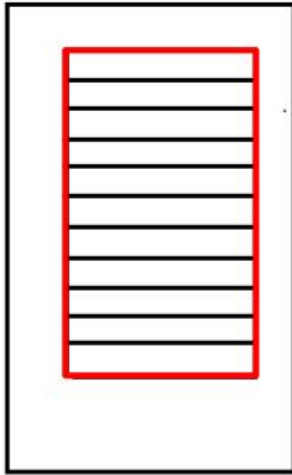
32- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 510-511. وكذلك: المنوني، 1999م، ص. 661.

33- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص. 511. ويراجع: خير الله سعيد، 2011م، ص. 170.

34- بكر ابن إبراهيم الأشبيلي، 1959م-1960م، ص. 12؛ وكتب في طرة الأصل: القبطال يجب أن يكون من العود الرزين الصليب فهو أحلى للعمل.

المُذهَّب، وقد جاء في حلية الكتاب: "وفن جملة آلات الكتابة المسطرة للكاغيد، فتكون من لوح صاف، وينبغي أن تكون على زوايا قائمة ذات امتدادين طولاً وعرضاً، وجعل سعة الطرة اليمنى من جزء، والفوقانية من جزءين، واليسرى من ثلاثة أجزاء، والسفلى من أربعة³⁵". أما مسطرة الكتاب فهي عدد سطور الصفحة الواحدة منه، وطول السطر، والمسافة من أول سطر في الصفحة إلى آخره³⁶.

2. 15. مصقلة: الآلة الخامسة عشرة: المصقلة وهي من توابع التذهيب حيث تستخدم الآلة المناسبة لصقل الكتابة المنفذة بماء الذهب بعد عملية الكتابة على الكاغد، وهي من آلات الدواة لا محالة³⁷.



الصورة 10: ملزمة ومحمل الكتب وعود النساخة تتغير أسماؤها بحسب وظائفها. الصورة 11: المسطرة إما من خشب أو ورق مقوى تتوسطها مسطرة الكتاب.



الصورة 12: المنفذ والإشفي في بلدان المغرب.

3. الطرف الثالث: فيما يكتب عليه

تعرف في المصطلح الأثري بسندات ودعامات الكتابة وحوامل الكتابة كذلك، وبحسب القلقشندي نطق القرآن الكريم بثلاثة أجناس من هذه الحوامل.

35- نقلا عن: المنوني، 1999م، ص. 671.

36- محمد خلف سلامة، 2007م، ص. 103.

37- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، ص ص. 511-512. ويراجع: خير الله سعيد، 2011م، ص. 171.

3. 1. **اللوح:** ويقصد به أم الكتاب، وتفسيره بعلم الله تعالى مما رواه عبدالرزاق وابن جرير عن كعب رضي الله تعالى عنه، والمشهور أنه اللوح المحفوظ قالوا: وهو أصل الكتب إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما جاء في سورة البروج³⁸.

وهو أم القرآن منه نسخ، ومنه نسخت الكتب السماوية المنزلة، ومنه تنسخ الملائكة أعمال الخلق. قال ابن عباس: "وهو لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور وهو معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك يقال له ساطريون...³⁹". ومنه ابتكرت ألواح الكتابة التي تستعمل في تعليم وتحفيظ القرآن بالزوايا الجزائرية وكل المغرب العربي.

3. 2. **الرَّق:** الرق بفتح الراء كما ذكره القرآن الكريم⁴⁰، وبحسب المبرد: هو ما يرقق من الجلود ليكتب فيه. وبشكل رئيسي تتوقف جودة الرق كسائد للكتابة على خبرة، ومهارة الشخص الصانع، ومدى تمرسه في هذه الصناعة أولاً، ومن ثم يصبح نوع، وعمر الحيوان الذي استخدم جلده في التحضير عامل جودة كذلك، وهناك نماذج عديدة من الرق القديم الذي تضاهي جودته الرق الذي يصنع في الوقت الحاضر، وعموما فإن أهم ما يجب أن يتميز به الرق الجيد: أن يكون رقيقا طريا قابلا لللف، والطبي أو الثني بسهولة، وخاليا من العيوب كالشقوق والثقوب، صقيل السطح يساعد على الكتابة أو الزخرفة الدقيقة⁴¹.

3. 3. **القرطاس والصحيفة:** الثالث: القرطاس والقرطاس وكله الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، وهما بمعنى واحد وهو الكاغد أو الورق. وذكر القرطاس في القرآن الكريم في سورة الأنعام: الآية 7. وعرف ابن أبي السيار القرطاس فقال: كاغد يتخذ من بردي مصر، وكل كاغد قرطاس، وأما الصحيفة فإنها لم ترد إلا بلفظ الجمع في سورة النجم: الآية 36-37. كما ذكرت تحت مسمى الصحف في سورة الأعلى الآية 18-19]. وجمعت أيضا على صحائف وسمي المصحف مصحفا لجمعه الصحف. قال الجوهري: سمي التصحيف تصحيفا للخطأ في الصحيفة⁴².

38- سورة البروج: الآية 21-22.

39- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، د.ت، ص. 94؛ ويراجع: أحمد بن علي الفلقشندي، 1987م، ص. ص. 512-513.

40- سورة الطور: الآيات 1-2-3.

41- ناصر عبد الواحد، 1983م، ص. 73.

42- أحمد بن علي الفلقشندي، 1987م، ص. ص. 514-515؛ ولمزيد من المعلومات حول سندات الكتابة يرجى العودة لمقال: بدر الدين شعباني، 2013م.



الصورة 13: مصحف تلمسان 1188هـ/ 1774م.

ثالثا - الخاتمة:

نختم عملنا هذا بالإشارة إلى أن أدوات الكتابة المذكورة عند القلقشندي تعد الأدوات الأساسية في صناعة الكتابة، وأن هذا الأمر بقي محل خلاف بين أرباب هذه الصناعة، فقد أورد الأشبيلي أدوات أخرى لم تذكر عند صاحب صبح الأعشى، كما رفع أستاذه الزفتاوي عددها إلى ما يزيد عن أربعين أداة كلها مرتبة على حرف الميم، ونظم العلامة الشيخ نورالدين علي العسلي أرجوزة في جمع الميمات - أي الأدوات - التي تكون في الدواة فجعلها أربعين أداة، حيث قال:

وإن من أشرف أوضاع البشر ... رسم الكتاب فهو وضع يعتبر

فمن هنا تقنن الكتاب ... فيما (في الكتب قد سطر)⁴³

فأودعوا دويهم قديما ... لما ذكرنا أربعين ميم⁴⁴.

ولا يقتصر الاختلاف على استعمال أصحاب الحرف لهذه الأدوات فقط، ولكن تعداها إلى أسمائها بين حرفيي المشرق والمغرب، وهو ما يوحي بتعدد مشاربها لمجاورة الدول المختلفة الممتثلة لهذه الحرفة بعضها بعضا مشرقا ومغربا، واحتكاك أصحاب الحرفة فيما بينهم من خلال تنقلاتهم بين أقطار العالم الإسلامي.

43- ما بين الأقواس من اجتهاد صاحب المقال لأن هذا الجزء من الشطر الثاني مبتور عند محقق النص الأصلي.

44- محمد بن أحمد الزفتاوي، 1986م، ص. 189.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- 1- أحمد بن علي القلقشندي، 1987م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي الطويل، ج2، ط.1، دار الفكر، دمشق.
- 2- أبي حيان التوحيد، 1951م، رسالة في علم الكتابة، تحقيق ونشر: الدكتور إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق.
- 3- إبراهيم المدبر، 1931م، الرسالة العذراء، تحقيق: زكي مبارك، ط.1، مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- 4- محمد بن يحيى الصولي، 1341هـ، أدب الكتاب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة.
- 5- المَعْرِ بن باديس بن المنصور التَّميمي الصنهاجي، د.ت.، عُمْدَةُ الْكُتَّابِ وَعُدَّةُ ذَوِي الْأَبَابِ، تحقيق وتقديم: نجيب مايل الهروي، عصام مكيّة، ط.1، مجمع البحوث الإسلامية، إيران.

ب- الكتب:

- 1- خير الله سعيد، 2011م، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، المجلد1، ط.1، بيروت - لبنان.
- 2- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، د.ت.، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، ج. 30، بيروت.

ت- الدوريات (المجلات العلمية):

- 1- ابن بصيص وابن الوحيد، 1986م، «شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة»، تحقيق: هلال ناجي، في مجلة المورد، المجلد 15، عدد 4، بغداد.
- 2- بكر بن إبراهيم الأشبيلي، 1959م-1960م، «كتاب التيسير في صناعة التفسير»، تقديم: عبد الله كنون، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلدان السابع والثامن، مدريد.
- 3- بدر الدين شعباني، 2013م، «تطور سندات الكتابة ودورها في ترقية الوراقة»، في مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 18، مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - الساننية.
- 4- محمد بن أحمد الزفتاوي، 1986م، «منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة»، تحقيق: هلال ناجي، في مجلة المورد، مجلد 15، عدد 4، بغداد.
- 5- نضال عبد العالي أمين، 1986م، «أدوات الكتابة وموادها في العصور الإسلامية»، في مجلة المورد، المجلد 15، عدد 4، بغداد.
- 6- ناصر عبد الواحد، 1983م، «أهم المواد التي استخدمت في التدوين والتدقيق وطرق صناعتها»، في مجلة التراث والحضارة، العدد 5، المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد.

ث- المعاجم:

1- محمد خلف سلامة، 2007م، لسان المحدثين (مُعجم يُعنى بشرح مصطلحات المحدثين القديمة والحديثة ورموزهم وإشاراتهم وشرح جملة من مشكل عباراتهم وغريب تراكيبيهم ونادر أساليبيهم)، ج.5، الموصل.